الوسائل اللّغويّة للحجاج في قصيدة "هوامش على دفتر النّكسة" لنزار قباني

عبد الحق سوداني*
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، enst.soudani@gmail.com

الاستلام: 2018/09/15 القبول: 2018/10/19 النّشر: 2018/12/01

الملخص: يعتمد المخاطب سواء أكان شاعرا أو مفكرا أو سياسيا في عملية إقناع المخاطبين قصد تغيير القناعات والمواقف المخالفة أو السلبية كما يراها، ويوظف من أجل ذلك اللغة التواصلية التي تتسم بالمنطق الحجاجي من خلال الأقوال الحجاجية المتتالية والمختلفة في وسائلها اللغوية.

والشاعر نزار قباني في قصيدة" هوامش على دفتر النكسة "، يتحدّث على هزيمة حرب 67 بكل تأثيراتها وسلبياتها ونتائجها على مستقبل الأمة، والسياقات الحالية التي أدت إلى هذه الهزيمة، وما يجب أن تكون عليه الأجيال المستقبلية لتدارك الموقف، كل هذا جاء بلغة شعرية مكثفة ومليئة بالمنطق الحجاجي المتضمن في العبارات والأقوال الشعرية من بداية القصيدة إلى آخرها.

الكلمات المفتاحية: الحجاج الاستعارة، السلم الحجاجي، الأفعال اللغوية، التكرار، التناص.

The Linguistic Tools of Persuation in the Poem «Hawamiche ala Dafter Ennaksa» by Nazzar KABANI

Abstract :

The communicator- a poet, a thinker or a politician- adopts an argument strategy in the process of convincing the audience to the beliefs and attitudes different from his or negative in his eyes. To that end, he employs a communicative language chracterised by logic and argument.

* **المؤلّف المرسل**: عبد الحق سوداني، enst.soudani@gmail.com

The poet, Nazzar KABANI, deals with the loss of 67 with its negative effects on the future generations, and the current contexts which led to the loss, and the responsibility of those generations to right the wrong. All these are constructed through a poetic language full of logic and argument.

Keywords : metaphor, argument scale, speech acts, repetition, intertextuality

مقدّمة: الحجاج اللّغوي هو مقولة من المقولات التداولية التي وضع أسسها أزوالد ديكرو ozoild dècrot وانسوكمبر ensekomber والتي تتأسس على الفكرة الشائعة التي مؤداها "إننا نتكلم عامة بقصد التأثير"، فاللغة تتضمن في أقوالها وعباراتها بصفة ذاتية وظيفة حجاجية أي أن هذه الوظيفة قائمة في بنية الأقوال نفسها وفي كل الظواهر الصوتية والصرفية و التركيبية والدلالية. وتسعى دراسة الحجاج إلى اكتشاف الوسائل اللغوية والروابط الحجاجية المتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي، بمعنى أن المنطق الحجاجي متضمن في لغة الخطاب وينبغي اكتشافه على هذا الأساس.

1- **مفهوم الحجاج**: يتخذ الحجاج مفهوما لغويا فهو" كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"1 وقد جعل ديكروdècrot الحجاج" فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص استمراره وتناميه"2، ومن هنا يكون الإقناع هو" المبحث الحجاجي نظرا إلى كونه محدد المقام والمخاطب والإطار القولي، أما أهم وظيفة في هذا المجال بعد الإعداد لقبول الأطروحة أو الفرضية فهي الدفع إلى العمل "3 بعد الإقناع من قبل المخاطب، لأنه لا مجال للتردد فهو قول يتضمن فعلا للإنجاز، "، والحجاج لا يرى أن" القيمة المرجعية للأقوال ليست من الناحية الدلالية قيمة من الدرجة الأولى، بل قيمة من درجة ثانية. وفي مقابل ذلك نجد أن القيم الحجاجية التي نعتبرها بصفة عامة آثارا للخطاب أو للسياق التداولي هي قيم من درجة أولى مسجلة في البنية اللغوية ذاتها لدى انسوكمبر ensekombe وديكروdècrot ، وبعبارة أخرى فإن قوام فرضيتهما هو أن الوقائع الدلالية الأولى لا تتعلق بقيمة صدق الأقوال وإنما بالقيمة الحجاجية للجمل، وأنه من الممكن وصف قيم الصدق الموسومة بها الأقوال، باعتبارها أقوالا مشتقة من القيم الحجاجية تداوليا"4.

"ولئن كان البعض يعتقد أن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية، فإن هذا الاعتقاد ما يبرره إذ بالفعل، نجد الخطاب الحجاجي يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد وشروط القول والتلقين، بعبارة أخرى إن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية، وبالتالي قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة"5 في عملية التخاطب، التي تتم عبر اللغة ووسائلها المختلفة، وتكون نهايتها خضوع أحد طرفي المعادلة إلى التسليم.

2- **البنية المقطعية للقصيدة**: إن قصيدة " هوامش على دفتر النكسة" جاءت في عشرين مقطعا، وكل مقطع يتناول موضوعا جزئيا متصلا بالموضوع الرئيسي للقصيدة، والذي يتمثل في الأسباب التي قادتنا إلى هزيمة مع إسرائيل سنة 1967، وقد جاءت المقاطع عبارة عن أقوال حجاجية تتصل بالعنوان، ومتدرجة عموديا لإقناعنا بأن الهزيمة أمر حتمي، ولا بد من تغيير قواعد اللعبة واللغة معا، ويمكن أن نحدد موضوع كل مقطع من خلال الترسيمة التالية:

موضوع المقطع الأول: نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة
المقطع الثاني: الهزيمة غيرت طعم الحياة
المقطع الثالث: الهزيمة غيرت موضوع ووسيلة الكتابة
المقطع الرابع: تبدل إحساس الشاعر بسبب الهزيمة
المقطع الخامس: سوء التدبير وعدم الإعداد الجيد سبب الهزيمة
المقطع السادس: الأقوال بلا أفعال
المقطع السابع: المنطق الذي يحكمنا قبلي
المقطع الثامن: الغناء المصاحب للمعركة لا يؤدي إلى النصر
المقطع التاسع: معركتنا نتائجها كثرة المخيمات
المقطع العاشر: الدين يدعو إلى توفير شروط النصر
المقطع الحادي عشر: مبررات الهزيمة حلقة من حلقات الهزيمة
المقطع الثاني عشر: الخيانة سبب الهزيمة
المقطع الثالث عشر: الشروط الأولية لوجود أمة
المقطع الرابع عشر: غياب سمات الأمة
المقطع الخامس عشر: سلاح البترول خارج المعركة
المقطع السادس عشر: فقدان الأمة لقيم النصر
المقطع السابع عشر: غياب الحرية في الوطن العربي خراب داخلي
المقطع الثامن عشر: التمزق الداخلي تسبب في طمع الأعداء
المقطع التاسع عشر: مواصفات جيل النصر

المقطع العشرون: ثقة الشاعر في الجيل القادم

إن مجموع موضوعات المقاطع يشكل موضوعا رئيسيا لقصيدة "على هوامش دفتر النكسة"، والذي يتمثل في "وصف الشاعر لحالة الأمة العربية الضعيفة وهي تواجه معركة مصيرية مع أعدائها"، وتتسم القصيدة بالترابط والتماسك من أولها إلى آخرها.

كما تعتمد القصيدة في عملية الانسجام على العناصر التركيبية كالإحالة الضميرية القبلية والبعدية التي تجعل من النص وحدة متماسكة، بالإضافة إلى الرابط النحوي الكثيف وهو"الواو" الذي يعمل على الاتساق التركيبي فضلا على أنه يقوم ببناء الخطاب من خلال بناء مواده اللغوية المعجمية والدلالية.

ولم تكتف القصيدة بالرابط التركيبي والمعجمي بل وظفت الروابط التداولية والحجاجية، وخاصة الرابط "لأن" الذي وظفه الشاعر سبع مرات ليكون النص منسجما حجاجيا، ويعطي للخطاب بعدا إقناعيا.

كما وظف الشاعر الرابط "إنما" و"لكن" من أجل ربط أجزاء المقاطع حجاجيا، لأن المقاطع التالية للرابط بمثابة نتيجة حجاجية.

3- الوسائل اللغوية للإقناع:

يوظف الحجاج وسائل لغوية في عملية التخاطب بين المتكلم والمخاطب بغية الإقناع والتأثير، وهذه الوسائل تستمد وجودها وتاثيرها من الخطاب الحجاجي نفسه، أي أنها تمثل عنصرا من عناصر الخطاب ومادة من مواده اللغوية التي تبني الخطاب، ويمكن أن نبرز بعض الوسائل:

3-1- الاستعارة: تعرف "الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي، وهو ما يود المرسل تحقيقه"6. فالمرسل يوظف الإستعارة عند تكون أبلغ من الحقيقة حجاجيا لكونها أعلى منها بيانيا، لما تشتمل عليه من كثافة دلالية في تبليغ المقصود والتأثير في المخاطب.

ويفترض طه عبد الرحمن عددا من الافتراضات لبناء النظرية التعارضية للاستعارة في الحجاج وهي:

1- "أن القول الاستعاري قول حواري، وحواريته صفة ذاتية له.

2- أن القول الاستعاري قول حجاجي وحجاجيته من الصنف التفاعلي.

3 - أن القول الحجاجي الإستعاري قول عملي، وحجاجيته من الصنف العملي وصفته العملية تلازم ظاهرتي البياني والتخييلي"7.

ووظف الشاعر الاستعارة في القصيدة لكثافتها الدلالية وتأثيرها في المخاطب ونورد بعض النماذج:

"أنعي لكم أصدقائي اللغة القديمة
والكتب القديمة
أنعي لكم
نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة"8.

إن هذه الاستعارات التي أوردها الشاعر ذات وظيفة حجاجية بسبب المنطق اللغوي الذي يتضمنها بحيث ربط فعل النعي بالعلم واللغة والفكر على أنه فعل يتعلق بموت الإنسان ، وهنا تكمن بلاغة الإستعارة، لأن نعي اللغة القديمة والفكر والكتب القديمة القصد منها أننا فشلنا في بناء الأمة علميا ومعرفيا وحضاريا، وأنه ينبغي أن نجدد في الأمة الحياة والعمارة بتجديد الوسائل وطرق النهضة الحضارية، وترتبط الاستعارات بقصدية الشاعر والسياقات التداولية التي تجعل منها وسيلة إقناعية وتأثيرية.

ونأخذ الاستعارة التالية:

"يا وطني
حوّلتني بلحظة
من شاعر يكتب شعر الحب والحنين
لشاعر يكتب بالسكين"9.

فهذه استعارة قصد منها الشاعر مدى الأثر النفسي الذي تركته هزيمة الجيوش العربية أمام الصهاينة، والتي استطاعوا من خلالها أن يحتلوا مساحات جغرافية واسعة من الوطن العربي، هذه الهزيمة حولت الشاعر من شاعر يكتب في الحب والحنين إلى شاعر يكتب بالسكين، فالسكين غيرت وظيفتها من القتل والذبح إلى فعل الكتابة، مما جعل الشاعر منهزما نفسيا بسبب وضع أمته ومن ورائه الجماهير المغدورة والموهومة بالنصر المزعوم، ولهذا تتضمن الاستعارة القدرة التأثيرية في المخاطب، بسبب المفارقة القائمة بين الواقع واللغة وبين المشبه والمشبه به، وهذا يمثل أعلى درجات القوة الحجاجية.

وكل الاستعارات التي أوردها الشاعر في القصيدة تأخذ نفس المعنى ونفس القصد مثل:

"سيفنا
أطول من قاماتنا"10

وكذلك:

"لبسنا قشرة الحضارة

والروح جاهلية"11

" إن الاستعارة الحجاجية تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، والإستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية "12 لما تتضمنه من معاني مكثفة قادرة على الإقناع.

بهذا يتضح أن الاستعارة تجسد مثالا جوهريا لاستعمال اللغة ، إذ يدرك منها عادة معنى مقصودا يقع وراء البنية المنجزة للملفوظ أو الجملة، وبهذا فإن الاستعارات تبدو مرشحات قوية للتحليل التداولي. اعتمادا على تفعيل بعض المبادئ التي يتمكن المرسل بموجبها من استعمال الإستراتيجية التلميحية من خلال الاستعارة في خطابه ليفهم المرسل إليه ما يقصد"13.

3-2- السلم الحجاجي: السلم الحجاجي هو "علاقة ترتيبية للحجج، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة فإن هذه الحجج تنتمي إذاك إلى نفس السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة، ويتسم بالسمتين الآتيتين:

أ-كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه.

ب – إذا كان القول ب يؤدي إلى النتيجة في ن، فهذا يستلزم أن ج أو د الذي يعلوه درجة يؤدي إليها والعكس غير صحيح"14. ويتجلى السلم الحجاجي في قصيدة "هوامش على دفتر النكسة" من خلال النماذج التالية:

الهزيمة

النتيجة

اقتضاء القول:

"ج" لولا الخيانة لما دخل اليهود

"أ" ما دخل اليهود من حدودنا "ب" إنما تسربوا كالنمل من عيوننا

ويصبح السلم الحجاجي

"ب" إنما تسربوا كالنمل من عيوننا"15

يقتضي القول

"ج" لولا الخيانة لما دخل اليهود "أ" ما دخل اليهود من حدودنا

وظف الشاعر السلم الحجاجي في هذا المقطع الشعري من نفس المسار الحجاجي " التلفظ"، واستعملها بشكل تدرجي حسب الترسيمة (1) (الحدود، العيون،الخيانة) أما الترسيمة(2) فهي تحدد عملية الحجاج بالسلم الحجاجي بطريقة عكسية الأقوال الترسيمة (1)، فتظهر الأقوال الحجاجية تتصاعد سلميا في الترسيمة(2) من الأسفل إلى الأعلى "أ"- "ب"- "ج" لتصل إلى النتيجة "الهزيمة" لأن ترتيب الحجج في الترسيمة (2) يجعل القول المقتضى "الخيانة" أعلى درجات القوة الحجاجية في ترتيب الأقوال.

الترسيمة (2):

النتيجة: قدوة سيئة

(أ) "لا تقرأوا أخبارنا	(أ) لا تقبلوا أفكارنا
(ب) لا تقتفوا آثارنا	(ب) لا تقتفوا آثارنا
(ج) لا تقبلوا أفكارنا "16	(ج) لا تقرأوا أخبارنا

ففي هذه الترسيمة وظف الشاعر السلم الحجاجي من نفس الفئة الحجاجية، وهي فئة الألفاظ الحضارية المعبرة عن التاريخ والعمران والأفكار(الأخبار، الآثار، الأفكار)، فبدأ السلم الحجاجي في المجموعة الأولى من الحجة الأدنى إلى الحجة الأعلى كما جاءت في القصيدة، ولكن عندما نعيد ترتيب السلم فأن الحجج تكون مرتبة ترتيبا من أقوى حجة إلى أدنى حجة، وهنا يحقق السلم الحجاجي هدفه الإقناعي، فيكون الترتيب كالتالي: (الأفكار، الآثار والأخبار)، لأن الأفكار أقوى من الآثار ومن الأخبار في الحجة والفعل. والشاعر في تقديمه لهذه الحجج في القصيدة فإنه يخاطب الجيل الآتي، هذا الجيل المغاير للجيل السابق المنهزم في عالم الأفكار، لأن الهزيمة من البداية كانت في عالم الفكر وليست في عالم الواقع القائم، لذا يبدو السلم الحجاجي كان أقوى إقناعا.

3-3 الأفعال اللغوية: تعد الأفعال اللغوية من الوسائل التي يوظفها المتخاطبون في عملية الحجاج، ويرى "إيميرن وجروتندورست أن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج، إذ يصطلح كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري إن لم يكن كلها، ليعبر عن وجهة نظره وليحدد موقفه من نقطة الخلاف، كي يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الادعاء، ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحة، كما يعبر بها على تنازله عن دعواه وكذلك لتأسيس الحجة".17 واقترح أوستين تمييزا جديدا للفعل اللغوي وذلك :

أ- العمل القولي الذي نحققه حين نقول شيئا ما.
ب- العمل المتضمن في القول الذي نحققه في قولنا شيئا ما.
ج- عمل التأثير بالقول الذي نحققه بواسطة قولنا شيئا ما"18

تبين من خلال الأفعال الثلاثة أن الفعل اللغوي هو فعل دال وإنجازي وتأثيري، ويأتي في إطار عملية تخاطبية متكاملة أساسها القصد وسياق الموقف.

" وقد لاحظ أوستين أن الإنشائيات تتأسس غالبا على أساس فعل مبني للمعلوم، ومسند إلى ضمير المتكلم، والحال أنه تبين أن الفعل الإنشاني قد يكون مبنيا للمجهول (مثل يسمح لك بالخروج) التي تعادل (أسمح لك بالخروج)، وقد يرد في صيغة الأمر(مثل اخرج) التي تعادل بدورها صيغة (آمرك بالخروج)، وهنا يمكن أن نشير إلى أن الفعل الإنجازي لا يأخذ صيغة محددة، بل يأخذ صيغا متعددة يتحكم فيها الموقف، والمتخاطبون، ومقاماتهم الاجتماعية.

ولقد ميز أوستين بين العمل القولي والعمل المتضمن في القول، وهذا التمييز يظهر لنا القوة التي يمكن أن يتخذها العمل المتضمن في القول .

وقد وظف الشاعر الأفعال التعبيرية المعبرة " عن الحالة النفسية التي يخصصها شرط النزاهة بالنسبة إلى حالة الأشياء التي يخصصها المحتوى القضوي"19، وقد وظف الشاعر أقوالا تتضمن أفعالا تعبيرية كقوله:

"أنعي لكم يا أصدقائي اللغة القديمة
والكتب القديمة
أنعي لكم
نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة"20

فالشاعر يشعر بخيبة أمل كبيرة بتوظيفه الفعل "أنعي"، الذي يتضمن حالة شعورية بائسة يحسها المخاطب وهو الشاعر، ويبلغها إلى الجمهور بشكل مقنع، من أن الأنظمة العربية لا رجاء فيها ولا بد من تغيير الخطاب والفعل والرؤية وإلا سنبقى رهينة الهزيمة ما دام الوضع لو يتغير.

ويرد الشاعر أفعالا تعبيرية أخرى كقوله:

"يوجعني
أن أسمع الأنباء في الصباح
يوجعني
أن أسمع النباح"21.

ففعل "يوجعني" تعبيري يدل على الحالة الوجدانية القلقة، التي عليها المخاطب(الشاعر) الناتجة من الأخبار الزائفة التي يبثها الإعلام المزيف، ليجعل من الهزيمة نصرا، والذي يهدف إلى تنويم الشعوب المسكينة لكي لا تعرف سبب الهزيمة، ومن ثم تركن إلى الحاكم الفاشل لتستأنس به وترضى العيش بين الحفر.

وقد وظف الشاعر الأفعال التوجيهية " والتي يسعى من خلالها إلى أن يجعل المخاطب يقوم بشيء ما، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات"22، وقد وظف الشاعر الأفعال التوجيهية بنوعيها الأوامر والنواهي، وقد جاءت أفعال الأمر في سياق الأفعال المضارعة كما في قوله:

"يا أصدقائي
جربوا أن تكسروا الأبواب
أن تغسلوا أفكاركم
وتغسلوا الأثواب
جربوا أن تقرأوا كتابا
أن تكتبوا كتابا
أن تزرعوا الحروف
والرمان والأعناب"23.

فالأفعال الواردة في هذا المقطع الشعري يوجهها الشاعر اتجاه الأمة والشباب من أجل محو آثار الهزيمة التي أوقعها حكام العرب ذلك الزمان، فالأفعال "جربوا أن تكسروا" و "أن تغسلوا أفكاركم" و"تغسلوا الأثواب" و"جربوا أن تقرأوا" و"أن تكتبوا كتابا" و"تزرعوا"، تتضمن أفعالا إنجازية يقوم بها الشباب من أجل نعي اللغة القديمة والكتب القديمة والفكر الذي قاد إلى الهزيمة، وتحويل حال الأمة من الضعف إلى القوة بهذه الأفعال الإنجازية، والتي تؤدي بالضرورة إلى نهضتها علميا وزراعيا وصناعيا.

أما الفعل الآخر التوجيهي فهو فعل النهي:

لا تلعنوا السماء
إذا تخلّت عنكم
لا تلعنوا الظروف
فالله يؤتي النصر من يشاء"24.

في هذا المقطع الشعري يورد الشاعر (المخاطب) أفعال النهي المرسلة إلى أصحاب الهزيمة وأصحاب الشأن، الذين لم يحسنوا إدارة الأمة في مواردها البشرية والمادية ليدفعوا بها نحو

النهضة الحضارية الشاملة وبالتالي نحو النصر ، فلا يلوموا "لله" لأنهم لم يقدموا أسباب النصر ولم يوفروا الظروف التي تؤدي إلى النصر، وعليه فالهزيمة كانت حتمية لأننا لم نكن في مستوى المعركة، فالفعل "لا تلعنوا" يتضمن توبيخ للمخاطبين المنهزمين.

وفي المقطع الأخير يأتي الشاعر بجملة من أفعال الكلام الدالة على النهي موجهة إلى مخاطب مفترض مستقبلي وهو الجيل الذي ينشده والذي يأتي على يده التغيير والتحرير يقول:

"يأيها الأطفال
من المحيط إلى الخليج أنتم سنابل الأمل
لا تقرأوا عن جيلنا المهزوم
لا تقرأوا أخبارنا
لا تقبلوا أفكارنا
لا تقتفوا آثارنا"25.

فالأفعال الواردة" لا تقرأوا"، "لاتقبلوا"، "لا تقتفوا" هي أفعال توجيهية تدل على النهي بغرض النصح، وهي مرسلة من الشاعر إلى المخاطبين (الأجيال) بألا تسير -الأجيال- على منهج الآباء المنهزمين حضاريا وعسكريا أمام مجموعة من الصهاينة المتشردين، وعليهم أن يختاروا منهجا مختلفا من أجل نهضة الأمة وتطويرها، يكون العلم والقانون هو الساري في حركة المجتمع بعيدا عن القيم المتخلفة، والتي تؤدي إلى انهيار الأمم والحضارات.

3-4- التكرار يؤدي التكرار وظيفة حجاجية من خلال:

1 — للتكرير وظائف خطابية عدة عبر عنها بالإفهام والإفصاح والكشف وتوكيد الكلام والإشادة بأمره وتقرير المعنى وإثباته.

2 - ترتبط بعض حالات التكرار بالتغيير في سلوك المخاطب يقول ابن الأثير ت637هـ " إذا صدر الأمر من الآمر على المأمور بلفظ التكرير مجردا من قرينة تخرجه عن وضعه، ولم يكن موقتا بوقت معين كان ذلك حاثا على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفور، فإنك إذا قلت لمن تأمره بالقيام قم قم قم ، فإنما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام في تلك الحال الحاضرة.

3 - التكرير ظاهرة لغوية مقامية. من أهم ما يدل على هذا الفهم إشارة ابن الأثير إلى تكرير المعنى في مقام الاعتذار والتنصل قصدا إلى التأكيد والتقرير لمل ينفي عن المتكلم ما رمى به"26 وعليه فالتكرار ذو وظيفة اقناعية يمارسها المخاطب على المخاطب.

ووظف الشاعر التكرار بشكل ملفت للانتباه، وخاصة الألفاظ التي علاقة بموضوع الخطاب وذلك من أجل التأثير في المخاطب مثل:

- تكرار لفظ "القديمة" ثلاث مرات.
- تكرار"الهزيمة" اثنان مرة.
- تكرارلفظ "أنعي" أربع مرات.
- تكرار لفظ "الفكر" أربع مرات.
تكرار لفظ "السلطان" خمس مرات.
تكرار لفظ "الجيل" سبع مرات.
تكرار لفظ "الأطفال" اثنين.
تكرار لفظ" مالحة" ثلاث مرات.
تكرار لفظ "الكتب، الكتاب" سبع مرات.

إن التكرار الذي يوظفه الشاعر ليس تكرارا يولد السكون والرتابة، بل يولد الإبداع والجمال الفني في القصيدة، بالإضافة إلى قدرته على جعل التكرار ذي وظيفة بنائية للنص، إذ إنه يعمل على خلق بنيات لغوية جديدة تندرج ضمن وظيفة الخطاب الإقناعية.

فتكرار لفظة "القديمة" ثلاث مرات التي ورد ذكرها في بداية القصيدة تدل على أن كل ما هو قديم يؤدي إلى التخلف، وخاصة المسائل المتعلقة بتسيير شؤون المجتمع والدولة، فتأكيد الشاعر لفظة القديمة يدل على أن القديم هو الذي أدى إلى الهزيمة، وبالتالي جاء تكرار "أنعي" قبل كل كلمة "قديمة"، فتواترت أربع مرات في القصيدة لتأكيد على أن النهج القديم الحاكم في الأمة كان سببا في الهزيمة، فالنعي يكون للأموات ولكن الشاعر ألحقها بالأفكار واللغة، لأن عقم الأفكار وعقم طرائق النهضة يؤدي في النهاية إلى الهزيمة والموت، وهنا ارتبط تكرار "النعي" بتكرار الهزيمة، وتكرار قبلهما القديمة التي أسست لسياق لغوي وسياق مقامي، وهو وضعية الهزيمة التي مني بها العرب في حرب 67.

وتكرر لفظ السلطان في القصيدة خمس مرات هذا تأكيد من الشاعر من أن الحاكم هو سبب الهزيمة لاتخاذه طرائق الحكم القديمة، وقد جاءت هذه الدلالة تتضمن المعاني السلبية وليس المعاني الإيجابية، لأن السلطان هو من قرر الحرب وقرر الهزيمة في الوقت نفسه، فالحرب قبل أن تدخلها لابد أن تكون قويا داخليا في العدل والحرية وفي احترام الإنسان والتعليم والصحة وفي التنمية الاقتصادية، ومن هنا يبدأ النصر وتبدأ الهزيمة، كما تم تكرار كلمة "الجيل" سبع مرات وكلمة "الأطفال" اثنان مرة وكلاهما ذات معنى واحد، وهذا التكرار الكثيف من لدن الشاعر تعطي لكلمة "الجيل"بعدا إقناعيا للمخاطبين بضرورة التعويل على الأجيال القادمة في عملية النهضة والتحرير، وأنه لا بد من التخلص من الجيل القديم الذي أدى إلى الهزيمة،

فالجيل الذي قاد الهزيمة هو الجيل القديم وأما الجيل الذي يقود إلى النصر هو الجيل المستقبلي الموعود.

" فكل عنصر من هذه العناصر يساهم بشكل من الأشكال وحسب ماله من إمكانيات تعبيرية وتبليغية في خلق الانسجام الحجاجي، وفي إنجاح العملية التواصلية التي يسعى الشاعر إلى أن يقيمها مع المتلقي وفقا لمقاصده وأهدافه الحجاجية، ووفقا لشروط ومتطلبات السياق التخاطبي والاجتماعي العام"27.

3-5- التناص: يعد التناص من المفاهيم النقدية المعاصرة، وقد ظهر على يد باختين bartine حين قال" ليس هناك تلفظ مجرد من بعد التناص... وأن كل خطاب يعود على الأقل إلى فاعلين"متحاورين داخل المنظومة الإدراكية لصاحب الخطاب بفعل التداعي النصوصي في النص الأصلي"28.

و"تعتمد تقنية التناص على إلغاء الحدود الفاصلة بين النص والنصوص التي يضمنها منتج النص الجديد، حيث تأتي هذه النصوص متماهية داخل هذا النص ومذابة فيه فتفتح آفاقا أخرى عديدة، مما يجعل من النص ملتقى لأكثر من زمن وأكثر من حدث وأكثر من دلالة، فيصبح النص غنيا حافلا بالدلالات والمعاني"29 ويشكل قوة حجاجية يوظفه المخاطب للتأثير في المخاطبين.

إن توظيف التاريخ الإسلامي عامة والسيرة النبوية خاصة في أحداثها الكبيرة من قبل المخاطب تشكل زخما نصيا للنص المنتج، كما أنه يمثل علامة ثقافية بالنسبة للمتلقي"، والوقع أن مؤسس الخطاب الحجاجي- أيا كان هذا الخطاب- يعي عادة الفضاء الذي يتحرك فيه خطابه، ويعرف ضرورة الرموز المعبرة عن انتماء متلقيه الثقافي والاجتماعي، فيوظفها بطريقة ذكية تمكن من الإقناع والحمل على الإذعان"30.

ونختار بعض النماذج:

"الروح جاهلية"31.

إن الجاهلية التي يقصدها الشاعر هي جاهلية القيم التي بني عليها المجتمع والتي أدت إلى الهزيمة، وتتمثل هذه القيم في العصبية وحب الذات ونبذ الروح الجماعية في العلاقات والمصالح والأهداف، والعداوة البغيضة بين الشعوب والدول العربية وخدمة العدو بدل خدمة الأمة، والبيت الشعري يتناص مع الحديث النبوي : حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل الأحدب عن المعرور بن سويد قال لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني سابببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك أمرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان

أخوه تحت يده فليطعمهما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم مايغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم"32.

وهذا الحديث يذكر بالقيم والروح الجاهلية التي ما زالت قائمة في نفسية الصحابي وأراد النبي أن يحذره منها لأنها أخلاق الجاهليين الذين يجعلون من السود عبيدا وخدما بدل من أن يكون إنسانا كامل الحقوق وينظر إليه على هذا الأساس، والنظرة الجاهلية لا تبني أمة بل تبني قبيلة، ومن هنا جاء توظيف الشاعر لمعنى الحديث لكي تسود المساواة والعدالة بين الناس، وتكون الكفاءة هي المعيار الحقيقي في تولي المسؤوليات والمناصب عبر معايير مضبوطة، لتدخل الأمة إلى القيم الحضارية التي تبني الأمة القوية التي لا تعرف الهزيمة.

ونموذج آخر من التناص:

"هل نحن "خير أمة أخرجت للناس؟"33

هذا التساؤل ليس تساؤل إنكار من الشاعر على أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، بل تساؤل على الحالة التي وصلت إليها الأمة من التخلف الحضاري والقيمي والمدني، مما جعلها تنهزم أمام قليل من اليهود تجمعوا حديثا في فلسطين، وأقاموا كيانا وكونوا قوة مادية وهزموا العرب قاطبة في بضع أيام، وسيطروا على أراضي واسعة أكبر من الأراضي التي كونت الكيان الغاصب نفسه، وهنا كان هول الصدمة على الشاعر فكان هذا التساؤل بحيث يتناص مع قوله تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس"34، أما هذه الآية فالقصد من معناها تبيان مواصفات الأمة المسلمة التي يجب أن تتحلى بها كمجموعة تدين بالإسلام وتلتزم بأوامره وتنتهي عند نواهيه، فهي مطالبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العدل حتى تكون أمة قوية أمام أعدائها، وهذا ما يتناقض مع واقعنا الذي يتسم بالضعف والتشرذم والتخلف وغياب العدل والحرية وهي معاني متضمنة في قصيدة الشاعر.

وخلاصة القول يمكننا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1 — أن الشعر هو خطاب يتضمن فعلا حجاجيا فهو يجمع بين الإمتاع والإقناع فالشاعر يخاطب الوجدان والعقل.

2- وظف الشاعر في خطابه الشعري الاستعارة بما تتمتع به من قدرة إقناعية مذهلة بسبب الكثافة اللغوية التي تتضمن العقلي والمحسوس.

3- يعد السلم الحجاجي من الآليات اللغوية التي وظفها الشاعر، والذي يتضمن بعدا إقناعيا نتيجة التدرج المنطقي في وضع الحجج لإقناع المخاطبين.

4- وظف الشاعر في قصيدة " على هامش دفتر النكسة" الأفعال الكلامية التوجيهية والتعبيرية، لأنها تتلاءم وموقف الحال الذي عاشته الأمة آنذاك، فالأفعال التعبيرية تتضمن

القول المعبر عن الإحساس بالهزيمة الذي عناه الشاعر وعانته الشعوب العربية من جراء التخلف السياسي والاجتماعي والمدني.

5 - كما وظف التكرار والتناص في القصيدة لتنويع الوسائل اللغوية للإقناع، فالتكرار يؤكد القناعات والأفكار التي يعتقدها الشاعر، ويريد أن يقنع بها الجمهور لتعديل الموقف نحو رؤية جديدة، أما التناص مع القرآن والحديث فهو من أجل ربط الأمة بأصولها وقيمها، ومحاولة إقناعها بالوحدة والعدل والحرية قبل الدخول في أية مواجهة مع الأعداء.

هذه بعض النتائج وما زالت القصيدة تزخر بلغة الحجاج فهي مفتوحة لمقاربة أخرى.

*** المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم ، رواية ورش عن نافع، دار الحسام للنشر و التوزيع، 2005، السعودية.

المصادر:

1- نزارقباني، القصائد السياسية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2009، مصر.

المرجع:

2- أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة رحاب، 2009، بيروت.

3. أبوبكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، ط1، 2007، المغرب. ا

4 - لإمام مسلم، الصحيح، دار الفكر، ط1991،1، بيروت.

5- الشهري (الهادي بن ظافر)، استراتيجيات، الكتاب الجديد، 2006، بيروت.

6- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، 2010، الأردن.

7- طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، 1998، المغرب.

8- تزفيتان تودوروف، ميخاييل باختين، المبدأ الحواري، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للنشر، ط1، بيروت.

9 موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مج باحثين، دار سيناترا، 2012 ، تونس.

الإحالات:

[1]- طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، 1998، المغرب، ص 25

[2]- أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة رحاب، 2009، بيروت، ص21

[3]- الشهري (الهادي بن ظافر)، استراتيجيات، الكتاب الجديد، 2006، بيروت، ص446

[4]- موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مج باحثين، دار سيناترا، 2012 ، تونس.، ص321

[5]- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1 عالم الكتب الحديث، 2010، الأردن، ص627

[6]- المرجع نفسه، ص456

[7]- المرجع نفسه، ص495

[8]- نزارقباني، القصائد السياسية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2009، مصر، ص43

[9] -المصدر نفسه، ص44.

[10]-المصدر نفسه، ص45.

[11]-المصدر نفسه، ص.46

[12]- أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص110.

[13]- الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص411.

[14]- المرجع نفسه، ص26

[15]- المصدر السابق، ص47

[16]- المصدر نفسه، ص48

[17]- الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص482.

[18]- موشلر، ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص65

[19]- المرجع نفسه، ص76.

[20]-المصدر السابق، ص 43.

[21]- المصدر نفسه، 47.

[22]- المرجع نفسه، ص 76.

[23]- المصدر السابق، ص48

[24]- المصدر نفسه، ص46

[25]- المصدر نفسه، ص 53

[26]- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص33

[27]- أبوبكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، ط1، 2007، المغرب، ص50

[28]- تزفيتان تودوروف، ميخاييل باختين، المبدأ الحواري،ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط1، ص 124

[29]- الحجاج مفهومه ومجالاته، ص310

[30]- المرجع نفسه، ص 313

[31]- المصدر نفسه، ص46

[32]-الإمام مسلم، الصحيح، ج3، في الإيمان والنذور باب إطعام الملوك رقم 1661، دار الفكر، ط1991،1، بيروت، ص125.

[33]- المصدر السابق، ص 49

[34]- سورة آل عمران، الآية110

EISSN :2602-5353 / --ISSN : 2170-0583